

طريق البلشفية



عز الدين بن عثمان المحدي

موضوعات حول الانتهازية اليمينية

والانتهازية «اليسارية»

مقدمة¹
الانتهازية في الحركة العمالية أو في الحركة الشيوعية مفهوم علمي ضمن المفاهيم الأساسية لعلم الثورة الماركسي اللينيني البلشفي. قام بصياغة خطوطه العامة ماركس وأنجلس، وطوّر لينين وستالين هذا المفهوم ليصبح ركنا أساسيا من أركان علم الثورة البروليتارية في عصر الامبريالية. عديد المؤلفات البلشفية تناولت ظاهرة الانتهازية، نذكر منها كتابات لينين «ما العمل؟» و«خطتان» و«الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية» و«الثورة العمالية والمرتد كوتسكي» و«اليسارية، مرض طفولي في الشيوعية»، وكتابات ستالين في «أسس اللينينية» و«مسائل اللينينية» ضد التروتسكية والزينوفيفية وكتاباته ضد الانحراف اليميني في الحزب البلشفي الذي مثله بوخارين، وكتاباته حول الانحرافات اليمينية و«اليسارية» في المسألة القومية والكولونيالية، الخ.

التحريفية لا تساوي الانتهازية. هذه الأخيرة أشمل وهي الظاهرة الاجتماعية الكبرى التي يفرزها الصراع الطبقي. الانتهازية هي مجموع التيارات التي تخدم البرجوازية داخل حركة العمال، قد تأخذ الانتهازية شكل التحريفية بمعنى أنها تحرف وتراجع كل أو بعض المبادئ العامة للماركسية اللينينية تحت يافطات متنوعة مثل «التأقلم مع التطور العلمي والاجتماعي» أو «الخصوصية القومية» الخ. لذلك تعتبر مثلاً البرنشتاينية والماوية والخروتشوفية تحريفية لأنها «تراجع» وتحرف الماركسية اللينينية تحت يافطة «الخصوصية الصينية» بالنسبة للماوية وتحت يافطة «التأقلم مع تطورات الرأسمالية الحديثة والعلوم» بالنسبة للبرنشتاينية والخروتشوفية.

وقد تتطور الانتهازية في الحركة الشيوعية دون «تحريف» صريح للماركسية اللينينية. هؤلاء هم من يسميهم لينين «قوميو المبدأ» أو «الحافظون عن ظهر قلب للماركسية»، هؤلاء دون أن «يجرفون» الماركسية اللينينية، يفرغونها من محتواها الثوري، يتمسكون بحرفية الماركسية لا بروحها، هؤلاء يحولونها إلى إصلاحية وإلى «انتظارية»، وينتصون من دور الدعاية والتعبئة الثورية في صلب الجماهير لتحضيرها للقيام بالثورة، هم دائماً يتعللون بعدم نضج الثورة وينتظرون مزيداً من «تطور قوى الإنتاج». هذا النوع من انتهازية «قومي المبدأ» مثله تاريخياً بالخصوص كاوتسكي في ألمانيا وبلخانوف في روسيا قبل 1914 لأنه بعد ذلك تحولوا إلى اشتراكيين شوفينيين سافرين. ونجد في وقتنا الراهن أيضاً انتهازيون من هذا النوع سواء في الدول الامبريالية حيث يكتفون بـ«انجاز الدراسات» والنضال الاقتصادي، أو في أقطارنا العربية حيث يقفون مكتوفي الأيدي أو في ذيل الانتفاضات الشعبية و«ينصحون» تلك الانتفاضات بالاكتماء ببعض المطالب «المقبولة» من البرجوازية المحلية والامبريالية، وبدعم طرح الأهداف السياسية من

أجل الإطاحة بالنظم البوليسيتية العميلة بدعوى عدم نضج الظروف لإنجاز الثورة وخطر الرجعتيات الدينية.

فتحة 4

والانتهازية تكون من حيث محتواها السياسي يمينية أو «يسارية». تكون يمينية عندما تعمل على تذييل الحركة العاليتة للبرجوازية، عندما تبشّر بالإصلاحية وبالتوفيق بين الطبقات. لذلك يعتبر ستالين انحراف بوخارين، مثلا، انحرافا يمينيا لأنه يدافع عن الكولاك وهم شريحة البرجوازية في الريف، وينادي بـ«إدماجهم» في الاشتراكية. لذلك أيضا تعتبر الأيمية الثالثة أن عدم القيام بنضال حازم ضد البرجوازية الوطنية وعزلها من أجل تحقيق هيمنة البروليتاريا على الثورة الوطنية الديمقراطية انحرافا يمينيا داخل الحزب الشيوعي الصيني. وقد كرس ماو تسي تونغ هذا الانحراف نظريا وسياسيا في كامل مجرى الثورة الصينية في إطار نظريته التحريفية حول «الديمقراطية الجديدة» التي تنادي بدكتاتورية أربع طبقات منها البرجوازية الوطنية عوضا عن الدكتاتورية الديمقراطية الثورية السوفيتية التي طرحها ستالين والأيمية الثالثة. بل وكرس هذا التذيل للبرجوازية حتى فيما يسميه عبثا بناء «الاشتراكية» في الصين بالإدعاء أن البرجوازية الوطنية الصينية تقبل الاشتراكية وبأنه لا داعي لتصفيتها بل يجب «تربيتها» سلميا. وهكذا حَرَف ماو تسي تونغ مبدأ أساسيا في الماركسية اللينينية وهو عدائية التناقض بين البروليتاريا والبرجوازية في مرحلة الاشتراكية وضرورة تصفية البرجوازية والانتقال العنيف إلى الاشتراكية.

فتحة 5

وتكون الانتهازية «يسارية» وهي، في هذه الحالة، تضرّ بحزب البروليتاريا لأنها تمنعه من تربية الجماهير وتوعيتها على أساس تجربتها النضالية الخاصة، لأنها تحرق المراحل و«تستعجل» بلوغ الهدف النهائي. هذا التوع من الانتهازية لا يفهم أن تحقيق الهدف الاستراتيجي يتطلب خططا تكتيكية متنوعة «أقلّ شأنا» ويتطلب

استخداما ثوريا للأشكال العلنية والأشكال السرية في النضال، وإتقان فنّ الهجوم وفنّ الدفاع على حدّ سواء. وإذا ما سيطر هذا النوع من الانتهازية على حزب البروليتاريا فإنه سيؤدّي به إلى هزيمة محقّقة لأنه يلقي، كما يقول لينين، بقوى الظليعة وحدها في المعركة دون أن يمنح لهذه الظليعة الفرصة لكي تجرّ وراءها الجماهير الغفيرة للفلاحين وأشباه البروليتاريين. ومن الأمثلة على هذا النوع من الانتهازية تلك التي تحدث عنها لينين في مؤلّفه «المرض الطفولي للشبيوعية» حيث ظهرت تيارات «يسراوية» في الحركة العالمية كرد فعل على الخيانة السافرة للأممّية الثانية التي شاركت ونظّمت المحازر للشبيوعيين في ألمانيا والمجر وغيرها. وهكذا تكون الانتهازية اليسارية، غالبا، رد فعل غير صحيح على الانتهازية اليمينية وعلى القمع الزهيب الذي تمارسه البرجوازية والطبقات الرجعية الأخرى.

مقدمة 6

أما الأساس الاجتماعي للانتهازية. فهناك منبعان اجتماعيان أساسيان للانتهازية بأنواعها، المصدر الاجتماعي الأول هو مختلف شرائح البرجوازية الصغيرة المفقرة التي تسحقها الامبريالية والبرجوازية الاحتكارية فتتنظم إلى الحركة الثورية لكنها تجلب معها تذبذبها وعدم ثقتها بالنصر وأحلامها الزائفة بالعودة إلى موقعها «الوسطي» و«امتيازاتها». المصدر الأساسي الثاني هو ما يسمى بالأرستقراطية العالّية أو الفئة من العمال «المتبرجة»، البيروقراطية النقاوية مثلا التي تقتات على فئات الأرباح الفسوى الاحتكارية التي تجنّبها البرجوازية خاصة من نهبا للمستعمرات وأشباه المستعمرات. ونحن نميز بين هاتين الفئتين خاصة لاختلاف المنشأ التاريخي والاجتماعي. لكن كلاهما يصنّف طبقيًا كفئات من البرجوازية الصغيرة. ولهذا التمييز بالخصوص أهمية عندما نتطرق للفرق، على هذا الصعيد، بين الدول الامبريالية من جهة والمستعمرات وأشباه المستعمرات من جهة أخرى. ففي الدول الامبريالية تجد الانتهازية (وهي يمينية بالخصوص وهو فارق هام) أساسها الاجتماعي الأساسي في

الأرستقراطية العاليتة وشتى الشراخ البيروقراطية العاليتة. هذا رغم تواصل المصدر الآخر للانتهازيّة المتمثل في البرجوازية الصغيرة المسحوقة بفعل الأزمت الاقتصادية وسطوة الاحتكارات. أما في المستعمرات وأشباه المستعمرات فإن الاستغلال الرأسمالي وشبه الاستعماري الوحشي الذي يبحث عن الأرباح القصوى لا يتيح للامبريالية والبرجوازية الوطنية إمكانية «رشوة» فئات واسعة من الطبقة العاملة. لذلك تجد الانتهازيّة (وهي يمينية ويسارية) أساسها الاجتماعي بالخصوص في فئات البرجوازية الصغيرة المفقرة من فلاحين وحرفيين ملتحقين حديثا بالبروليتاريا والذين يحتفظون غالبا ببعض الأملاك في الريف أو المدينة، وفي المثقفين البرجوازيين الصغار الرافضين للهيمنة الامبرياليّة والمنهزين بثورية الحزب الشيوعي والنظرية الماركسيّة اللينينيّة.

في مرحلة تكوين طليعة البروليتاريا، أي في مرحلة تكوين الحزب الشيوعي **ثورة** 7، يكتسي النضال ضد الانتهازيّة اليمينية بالخصوص (خلافا للنضال ضد الانتهازيّة «اليسارية») أهمية حاسمة. لأن النضال ضد الانتهازيّة اليمينية أي ضد الإصلاحية والمبشرين بالوفاق الطبقي، هو ما يمنع مباشرة تشكل البروليتاريا كطبقة واعية، هو ما يمنع مباشرة العمال من إدراك هدفهم النهائي أي الشيوعيّة وتحطيم البرجوازية. الانتهازيّة اليمينية تضرب مباشرة مسألة استقلالية الطبقة العاملة عن البرجوازية ووعيا بأهدافها الطبقيّة، تضرب مباشرة مسألة هيمنة البروليتاريا على الثورة في المستعمرات وأشباه المستعمرات وتعمل على تذييلها لما يسمى بالبرجوازية الوطنية.

أما بعد تكوين الحزب، ومع بقاء النضال ضد الانتهازيّة اليمينية مسألة حاسمة وأساسية دائما، يصبح أيضا النضال ضد الانتهازيّة «اليسارية» حاسما من أجل جعل الحزب جماهيريا، من أجل إعداد الجماهير وتعبئتها الواسعة للثورة. لأن

الانتهازية اليسارية تضرب بالضبط جماهيرية الحزب وقدرته على جرّ الفلاحين وأشباه الكادحين، لأنها تعيق الحزب عن تحضير الهجوم النهائي على الرأسمالية الامبريالية. قبل تكوين الحزب لا يكون النضال ضد الانتهازية «ليسارية» حاسما وعلى جدول الأعمال، لأن الحزب نفسه لم يوجد بعد حتى يسعى هذا النوع من الانتهازية إلى عزله عن الجماهير ومنعه من تربيتها السياسية على نطاق واسع.

تونس، 2011/9/20

نشر لأول مرة في:

الحوار المتمدن، عدد 3498، 2011/9/26

